واقع الموروث النّحوي المخطوط بمنطقة توات
قراءة في الأعلام والآثار

د. عبد الله عماري
المركز الجامعي تمنراست
a.ammari1984@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2019/16/14 تاريخ القبول: 2019/10/24

الملخص: سأحاول في هذه الدّراسة أن أصل إلى واقع المخطوط النحوي في منطقة توات، مُقدّما في ذلك تعريفاً موجزاً عن منطقة توات ،ومعرجاً على حال المخطوط في المنطقة بصفة عامة، وصولاً إلى حال التراث النحوي المخطوط على وجه الخصوص ،مع عرض نبذة موجزة عن أعلام التراث النحوي المخطوط في المنطقة، واضعاً في ذلك قراءة لهذا التراث ؛ من حيث معجميّة العنوان .

الكلمات المفتاحية : المخطوط، توات، النحو ،الواقع، الآثار.

د. عبد الله عماري

التعريف بمنطقة توات [1]:

توات هي اسم بربري أُطلق على الواحات [2] وهي منطقة عريقة تقع في جنوب غرب صحراء الجزائر، وتمتد جغرافيا ضمن امتداد أدرار وتيميمون وعين صالح، ولهذا انقسمت المنطقة إلى ثلاثة أقاليم هي:

1/ إقليم قورارة [3]: وينحصر هذا الإقليم بين تسابيت وتبلكوزة.

2/ إقليم توات الوسطى : ويأخذ هذا الإقليم البقعة الجغرافية التي بين تسابيت ورقان .

3/ إقليم تيديكلت [4]: ويقع هذا الإقليم بين منطقتي رقان وفقارة الزوى شرق عين صالح .

وبمجيء الإسلام ،حظيت المنطقة بهذا الدين على يد عقبة بن نافع الفهري [5] سنة 46هـ [6] حينها اتسمت المنطقة بحركة عالية من الحركة العلمية ،وتمثل ذلك في عكف أهلها على حفظ كتاب الله تعالى، وتنشيط حركة العلم في الزوايا المنتشرة انتشار سكانها وعلمائها، الذين

حملوا راية العلم في سائر أقطارها تدريساً ،وتأليفاً في شتى العلوم والمعارف، وإن دلَّ هذا فإنما يدل على حرص التواتيين وحبهم للعلم والقرآن الكريم .

واقع الموروث المخطوط بمنطقة توات الجزائرية :

شهدت المنطقة نشاطاً خصباً وازدهاراً واسعاً في شتى العلوم والمعارف ،ويقول أبو القاسم سعد اللّه واصفا الجانب العلمي لمنطقة توات : " وهذه المنطقة غنية بتراثها العلمي والديني، وغنية بعلمائها ومؤلفيها، وبزواياها ونظمها، وكذلك غنية بآثارها ومكتباتها" (7).

وأول ما نبدأ به النظر في كلام سعد اللّه هو الحديث عن غنى منطقة توات بالمكتبات، فهو هنا يقصد الخزائن والمكتبات الخاصة التي حملت بين رفوفها كماً هائلاً من المخطوطات في شتى المعارف والعلوم من فقه، وتفسير، ولغة ،ونحو، وتاريخ ،وطب ،وفلك وغيرها من العلوم، وقد بلغ عدد هذه الخزائن الخمسين (50) خزانة ومكتبة خاصة موزعة في ربوع المنطقة .

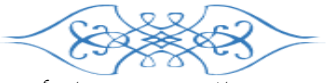

والجدير بالذكر هنا أن انتشار هذه الخزائن ساعد في نمو حركة التعليم، وهي ما جعلت المنطقة قبلة لزيارة المفكرين والباحثين العرب والأعاجم، وإن كان وفود الأعاجم أكثر للاهتمام بهذا التراث، ويواصل سعد الله كلامه قائلاً :".... وكذلك غنية بآثارها ومكتباتها، ولكن البحث في ذلك لا يزال ضعيفا، ولم يهتم بها إلا الأجانب ؛رحالة ومستكشفين، وحكاما ودارسين ومبشرين وجواسيس وتجاراً" (8)

ويعنينا أن نذكر هنا أن معظم المخطوطات في تلك الخزائن تعرضت لموجات قاسية من الإتلاف فأحالت جزءاً كبيراً منه إلى العدم، وأُقصي به بعض العلماء من ذاكرة المنطقة، وقد شملت هذه الإبادة عدة خزائن، ومن هذه الموجات القاسية نذكر على سبيل المثال لا الحصر؛ الاستعمار الذي كان السبب الأول في إبادة تلك المخطوطات ؛ وهو أن الناس لما علموا بقدوم المستعمر بنية الإفساد في تراثهم وسرقته وحرقه، عمدوا إلى إخفائه تحت الأرض لإبعاده عن عيون المستعمر، لكن للأسف أن عدداً كبيراً

ممن قاموا بهذا العمل ماتوا قبل أن يخرج العدوان الفرنسي من البلاد، فأصبح وجود تلك المخطوطات سراً دُفن مع أصحابه إلى يوم الدين ؛ وعليه يمكن القول هنا إن أهل المنطقة أسهموا _ عن قصد أو غير قصد _ في إبادة جزء من تراثهم المخطوط، هذا إلى جانب أن عدداً من تلك الخزائن تفتقد إلى أدنى وسائل الحفظ الحديثة وعمليات الصيانة ؛وهو ما أدى إلى صعوبة الاستفادة من هذه المخطوطات، كما كان للظروف الطبيعة دور بارز في هذه الإبادة التي شهدتها المخطوطات ؛ حيث أن عددا كبيرا من المخطوطات بمنطقة آولف قد أهلكتها السيول والأمطار الطوفانية التي حلت بالمنطقة في عام 1975. (9)

الموروث النحوي المخطوط بالمنطقة وأعلامه:

ولما كانت العربية محور كل هذه الدراسات ومحركها الأساسي في فهم الكثير من المسائل الدينية والدنيوية فقد لقيت اهتماماً بالغاً لدى علماء منطقة توات، ويعد الشيخ بن عبد الكريم المغيلي (10) أول من ألف كتاباً في اللغة العربية سماه بـ مقدمة في العربية (11)، أضف إلى

ذلك أن المنطقة لم تخضع للدولة العثمانية كما خضعت لها معظم الأقاليم الجزائرية والعربية، مما جعل اللغة العربية فيها تسلم من مزاحمة اللغة التركية [12]، وهذا ما مكّن علوم العربية من أخذ قسطها الأوفر من العناية والدراسة، وذلك بمعالجة مواضيع علوم اللغة من نحو ،وصرف، وبلاغة، وعروض، إما بالشرح أو التعليق على النص، أو لتجديد في طريقة العرض ؛بوضع النص على شكل أرجوزة ليسهُلَ حفظها، تماشياً مع أساليب التعليم والحفظ المتّبعة عندهم وقتذاك [13].

وفي خِضَمِ هذا المضمار، ينبغي ألاّ يغيب عن الأذهان أن المخطوط النحوي – على وجه الخصوص - شهد هو الأخرى حركة في التأليف، حيث كانت تآليف علماء منطقة توات امتداداً وترديداً لِما صُنِّف قبلهم من المقدِّمات والشروح والتعليقات، وهلُّم جراً من المختصرات النحوية المتأخرة، مع الالتزام في ذلك بقالب التبسيط والتيسير ؛ الأمر الذي جعلها محجّ المتعلمين والمبتدئين .

د. عبد الله عماري

هذا اللون من النشاط الذهني الذي تجلّت فيه براعة هؤلاء النحاة جعلهم وجهاً من أوجه المنطقة التواتيّة التي تشابكت فيها روافد الثقافة العقلية ،واللغوية، ولعلّ خيرُ دليلٍ على ذلك أن هذه الأعمال التي خلّفوها صارت فيما بعد محلّ اعتبار العلماء والدارسين في داخل القطر التواتي وخارجه .

ونمضي في طريقنا لِنُلِمّ بتلك الآثار النحوية المخطوطة ،التي عُجّت بها رفوف خزائن المخطوطات بالمنطقة ،ومن ضمنها ما يلي :

1/ محمّد بن أّبّ المُزمِّري (ت1160هـ) : هو أبوعبد الله [14]، محمّد بن أُبّ بن أحْمِيدْ،وفي رواية بن أحمد [15]، بن عثمان بن أبي بكر [16] من مواليد 1094ه الموافق لـ 1683م كان محمّد المزمِّري متصفاً بكل ما يتصف به العلماء والشيوخ، وخلّف الشيخ وراءه آثاراً جمّة ،في شتى المعارف والعلوم ،والفنون التي حذقها وأتقنها ،وتبحّر فيها حتى وصل إلى درجة الإتقان التي أهلته إلى أن يُصنف المصنفات النحوية التالية :

د. عبد الله عماري

- **النظم على مقدمة ابن أجروم** :كانت له عدة منظومات على الأجرومية ،حيث أقدم على تبسيط هذا المنثور في ثلاث منظومات شعرية هي: نظم مقدمة ابن آجروم ،ونزهة الحلوم على مقدمة ابن آجروم ،وكشف الغموم على مقدمة ابن آجروم .

1 - **نظم مقدمة ابن آجروم للمُزمِّري** : وهو نظم على بحر الرجز، ألَّفه سنة 1120هـ، ويظهر ذلك من قوله في خاتمة النظم :

قَدْ تَمَّ مَا أُتِيحَ لِي أنْ أُنْشِئَهْ في عَامَ عشْرِين وألْفٍ ومِائَةْ

والنظم بالرغم من كونه مخطوطاً فقد أقدم على شرحه كل من الشيخين:الشيخ مولاي أحمد الطاهري(ت1399هـ) في كتاب نفيس سماه بـ : الدُّر المنظوم شرح مقدمة ابن آجروم [17]، والشيخ محمد بن بادي (ت1388هـ) في كتابه الموسوم بـ : مقدّم العَيِّ المصروم شرح على نظم ابن أُبّ لآجروم [18].

2 - نزهة الحلُوم للمُزمِّري: وهو كذلك نظم في قالب شعري على وزن الرجز، ألّفهُ سنة 1144هـ في 140 بيتاً، ويتضحُ ذلك من قوله في الأبيات الأخيرة منه :

سَنة أرْبَعٍ وأرْبَعِينا للْخَمْسِ والسِّتِ من المِئينا
في مائةٍ وأرْبعِينَ بيتا فَنِعْمَ حُرّاً أنْتَ إنْ أغضيتا

أمّا إذا عُدْنا إلى عنوان هذ المصنّفِ، نجده يصرّح بذلك في مقدمة منظومته بقوله :

فَذَا كتابُ نَزْهَةُ الحلُومِ في نَظْمِ منْثُورِ ابنُ آجَرُّومِ

وإذا مضينا إلى قراءة ذلك في المعاجم اللغوية فإننا نجد مايلي : النُّزهة هي التنزه ،وتستعمل في الخروج إلى البساتين، ونقول أرض نزيهة أي بعيدة عن غمق المياه، ورجل بعيد عن كل مكروه

فهو نزيه [19] أما الحَلُومُ في اللغة هو تغليط اللبن حتى يصير شبيهاً بالجبن الرّطب الطّري [20]

وتأسيساً على هذه المعاني اللغوية فإن محمد بن أُبّ لم يضع عنوانه هذا اعتباطاً ،بعد أن أدركنا أنه أراد التّنزه

والتجوال في مقدمة ابن آجروم ليجعلها سلسة سهلة للاستيعاب والحفظ.

لكن الجدير بالذكر هنا أن الزموري لم يكن مجدداً ولا مبتكراً، بل سبقه إلى هذا العنوان غيره من العلماء، ولم نعثر في ذلك إلاّ استخدام الاسم الأوّل من العنوان، مثل : نزهة الألباء

في طبقات الأدباء ،للأنباري (ت577هـ) ،ونزهة المريد في معاني كلمة التوحيد [21] للبوني (ت940هـ) .

وحظيت هذه النزهة - المخطوطة لحد الآن - بشرح للشيخ محمد باي بلعالم ،سماه بـ : الرّحيق المختوم على نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم [22]

3 - **كشف الغموم للمُزمِّري :** وهو النظم الذي صنّفه على وزن بحر الطويل عام 1157هـ، ودليل ذلك قوله :

وذَا مُنْتَهى المرْمَى في عَامِ سَبْعَةٍ وخمسِينَ بَعدَ الألفِ والمائة انْجَلا

كما يحتوي هذا النظم على 115 بيتاً، أوجز فيها منثور الآجرومية ،وسماه بقوله :

وسَميتُهُ كَشْفَ الغُمومِ لِكَشْفِهِ عَنِ المرءِ غَمَّ اللّحْنِ سَاعةَ يُبْتَلا

وإذا بادرنا لفتح المعاجم اللغوية للبحث عن مفردات العنوان فإننا نحظى بما يلي :

الكشفُ من كشف الشيء فانكشف وتكشّف[23] وكَشَفَ الثوب عنه أي نزعه، وكَشَفَ اللّه غمّه، وهو كشّاف الغَمِّ، والكشف هو الإظهار ورفع الشيء عمّا يُواريه ويغطيه [24] أمّا الغمُّ فهو التغطية، وغمّ البيت أي غطّاهُ بالطين والخشب، ونقول ليلة غمّاء، أي مُظلمةٌ، وجاء في الغمة الإبهام والكُربة [25]، وفي الحديث قوله ﷺ :" إذا رأيتمُوهُ فَصُومُوا وإذا رأيتُمُوهُ فأفْطِرُوا، فإن **غَمّ** عليكم فاقدروا له" [26].

وفي ضوء هذا المنظور، فليس من شكٍ في أن محمد المزمّري قد وُفِقَ في اختيار عنوانه الذي يعني به إزالة الغطاء، ورفع الإبهام على الآجرومية ليسهل استيعابها وحفظها ،وحظي هذا النظم بشرح هو لمحمد باي بلعالم موسوم بعون القيوم شرح على كشف الغموم .

وللإشارة، فكثيرة هي المصنفات التي تحمل في طياتها مصطلحات هذا العنوان، نذكر منها : كشف الغُمّة في الصلاة على خير الأمة ﷺ [27]، لمحمد الموسوم (ت1313هـ)، وكشف النِّقاب عن مخدرات الإعراب [28]، للفاكهي (ت972هـ) ،و كشف المُغَطَى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ [29]، لمحمد الطاهر بن عاشور(ت1393هـ) .

- **منظومة في أمثلة المتعدي واللازم من الرباعي المجرّد** [30] وهي أبيات مخطوطة جاء في مطلعها قوله : (رجز)

أمثِلةٌ مِنْ فَعْلَلَ المُعَدّى عَشَرَةٌ غُرٌّ تُعَدُّ عَدّا

- **نظم على معاني بعض حروف الجر** [31]: والنظم لا يزال مخطوطاً ،تطرّق فيه لحروف الجر مع إعطاء معنى لكل حرف ،ولم يُقيده بتاريخ، واستهله بقوله :(رجز)

حَمْداً لِمَا مَنحَ أسْرَار الكَلامْ ثُمّ على الرَّسُولِ أفْضَلُ السّلامْ

- **نيل المُراد من لاميّة ابن المجراد** [32] وهذا المخطوط هو شرح على لامية ابن المجراد المغربي [22]

(ت778هـ - 1377م) في إعراب الجمل ،ومطلع هذه اللاميّة هو [34]: (طويل)

حَمدْتُ إلَهِي ثُمّ صَلَّيتُ أوّلاً عَلى سيّدِ الرُّسْلِ الكِرام ذَوِي العُلاَ

كما أن المتصفح في المعاجم اللغوية للبحث عن مفردات هذا العنوان، يكاد يحظى بأن كلمة(النيل) في اللغة هي من نَالَ يَنَالُ نَائِلاً ونيْلاً ومَنالاً والنيل هو الإصابة، ونقول نلتُ من العدو ؛ أي هزمته.[35]

أما كلمة (المراد) فهي بلوغ الغاية من الشيء [36]، وهي "أصل صحيح يدل على تجريد الشيء من قشره أو ما يعلوه من شعر" [37]، ونقول مرّد البناء أي ملّسهُ وحسَّنهُ [38].

ويتضح جلياً بعد هذه القراءة اللغوية، أن المبتغى من عنوان المزمِّري هو إصابة الغاية من لاميّة المجرادي، وتجريدها من الغموض ووضعها في حُلّة حسنة .

وسرعان ما نكشف عقب ذلك، أنه حاكى في عنوانه هذا عدّة مصنفات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: نيل المراد في تخميس بانت سُعاد [39]،

للآثاري(ت828هـ)، ونيل المراد في معرفة رجال الإسناد [40]، لأبي عبد الله محمد الحجوحي (ت842هـ).

- **روضة النّسرين في مسائل التمرين :** وهي منظومة مخطوطة على وزن بحر الرجز، تحتوي على تسعة وستين (69) بيتاً .

وجميلٌ كذلك - ولحرصه على المتعلم - أن نجده يضع شرحاً لمنظومته تلك، سماه بـ :

- **شرح روضة النّسرين في مسائل التمرين :** حيث بسّط فيه كل ما ورد في النظم من أجل إيصال الفكرة إلى تلاميذه، ويظهر ذلك من قوله في بدايته :" لمّا منّ الله تعالى عليّ بنظم مسائل التمرين، رأيت أن أضع عليه شرحاً وجيزاً يُبين المراد وييسر محاولة معناه على حُفاظه". [41]

ولنقرأ كلمات هذا العنوان في القواميس اللغوية، التي تمدّنا بأن : كلمة (روضة) تعني الأرض المليئة بالأشجار والفواكه، وكذا المياه [42]، وجاء عن الروضة أنها التحسين والتزيين [43]، أما (النسرين) بالكسر فهي كلمة تعني الورد [44].

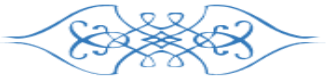

وعليه يكون المقصود بروضة النسرين: الأرض الكثيرة الماء والأشجار المزخرفة بالورود والرياحين .

وتأسيساً على ذلك فإن محمد المزمِّري، يبتغي من هذا العنوان، إعادة بثّ مسائل التمرين الواردة في شافية ابن الحاجب في حلة مزخرفة لكي يسهل حفظها واستيعابها .

وكل ما يُرغب في إضافته إلى هذا أن ابن أُبّ لم يكن مجدداً ولا مبتكراً في هذا العنوان، بل تقدّمت عليه عدة مصنفات تحمل هذه التسمية نذكر منها على سبيل المثال : روضة النّسرين في دولة بني مرين [45] لابن الأحمر(ت869هـ)، وروضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين [46] لابن صعد(ت901هـ) .

2/ عبد الكريم بن أمحمد التواتي (ت1042هـ) : هو عبد الكريم بن أمحمد بن أبي محمد التواتي نسباً، ولد عام 994هـ وفيه رواية ذكرت أنه ولد سنة 1002هـ [47]، وكان مولده بمدينة تمنطيط [48]، التي اجتمع فيها العلم والإمارة والدين والرياسة [49]، وكذا العمران [50]، وفيها تربي وتعلم ،خلّف وراءه مخطوطاً نحوياً موسوماً بـ : **غاية الأمل في إعراب**

الجمل : وهو شرح على لامية ابن المجراد المغربي [51]، ولا يزال الكتاب مخطوطاً ولم أعثر عليه خلال رحلات بحثي داخل الخزائن التواتية.

3/ محمّد الحسن بن محمّد القبلاوي (ت1353هـ) :

هو محّمد الحسن بن محمد بن أحمد بن محمد بن مالك القبلاوي، ولد سنة 1283هـ بقصر ساهل بأقبلي التابع لمنطقة آولف في إقليم تيديكلت، خلّف كتابا في النحو العربي سماه بـ: تفريج الغموم على مقدمة ابن آجروم.

- **تفريج الغموم للقبلاوي** (ت1353هـ): وهو شرح على متن الآجرومية ،والشرح لا يزال مخطوطاً داخل رفوف الخزائن وبخط واضح ومقروء.

قراء معجمية في العنوان :

إن مصطلح التفريج هو من مادة فرج ،والفرجُ من الغمّ ،وفرّج اللّه غمّه تفريجاً، والفرجَة بفتح الجيم هي التقصي من الهم ،والفرج انكشاف الكرب وذهاب الغمّ [52].

أما مصطلح الغموم ؛فهو من (غمم) والغم واحد وجمعه غموم ،والغُمّة الكربة والإبهام ،وهو الظلمة والضيق والهمُّ [53]

ومن خلال ذلك يتبين لنا أن القبلاوي أراد من عنوانه هذا كشف الكُربة وذهاب الإبهام عن مقدمة الآجرومية وجعلها سهلة المنال بالنسبة للمتعلمين .

4/ محمّد بن بادي الكنتي (ت 1388هـ) : هو محمّد بن المختار بادي بن محمّد بن المختار أحمد بن أبي بكر الوافي الكنتي القرشي الأشعري المالكي التكروري، الملقب بسيدي حم، ولد بكيدال التابعة لجمهورية مالي بمنطقة الأزواد، سنة 1315هـ الموافق لـ 1897م [54] ويرجع نسبه إلى منطقة توات ،لأن أصل قبيلة كنتة يعود لتوات [55] ونجد له كتاباً في النحو سماه بـ: مقدم العي المصروم شرح على نظم ابن أُبَّ لآجروم.

- **مُقدَّمُ العَيُّ المصْرُوم لمحمد بن بادي الكنتي** : هو شرح وضعه محمّد بن بادي الكُنتي على نظم ابن أبَّ المُزمِّري

الأوّل على مقدمة الآجرومية، والشرح لم يُطبع بعْد ،لكنه حظي بالدراسة والتحقيق في رسالة ماجستير.

قراء معجمية في العنوان :

إن لفظة (مُقدَّمُ) في معاجم اللغة هي من قَدّمَ ضد أخّرَ ،وقَدِمَ من سفره بالكسر قُدوماً، والمُقدّمُ هو ضد المؤخر ومُقدَّمُ كل شيء نقيض مؤخره ،وقال بعض المُحرِّرين : لم يُسْمع المُقدَّمُ إلاّ في مُقدَّم العين، وكذلك لم يُسمع في نقيضه المؤخر إلا في مؤخر العين ،يقالُ ضربَ مُقدّمَ وجهِه، ويقال ضرب مُقدَّمَ رأسِهِ ومؤخَّرَهُ. (56)

أما لفظة (العَيُّ) ؛فهي ضد البيان ،وقد عيَّ في منطقه فهو عيٌّ ،وهو عيٌّ وعييٌّ وعيان : عجز عنه ولم يُطق أحكامه ،ورجلٌ عيٌّ هو أكثر من عييٍ ،والرجل يتكلّف عملاً فيعيا به وعنه إذا لم يهتد لوجه عمله ،والمُعاياة أن تأتي بكلام لا يُهتدى له (57)

أما (المَصْرُوم)، فهي من صَرَمَ بمعنى عزم، وصرم الشيء قطعه ،والتصارم التقاطع ،والصريمة والعزيمة واحدٌ ،وهي الحاجة التي عزمت عليها ،ورجل صارم أي ماضٍ في

كل شيء ،ومصروم للمبالغة في العزيمة ،والصيرم الرأي المُحكم.[58]

والظاهر للعيان، من خلال تلك المعاني المعجميّة أن هذا العنوان وضعه محمّد بن بادي لفك رموز وشفرات نظم ابن أُبّ التي كان يرى بأن فيها عيٌّ وعجز لبعض المتعلمين ،وكان ذلك بعزيمة صارمة لتحقيق هدفه المنشود.

5/ محمّد باي بلعالم (ت1430هـ) : هو محمد بن عبد القادر بن محمد بن المختار بلعالم الفلاني، المشهور بالشيخ باي، من مواليد 1348ه الموافق لـ1930م بقرية ساهل بمنطقة آولف، من بين خمسة ذكور لوالده عبد القادر الذي كان فقيها [59]، خلّف عدة مصنفات في النحو العربي ،نذكر المخطوط منها :

- **اللؤلؤ المنظوم لمحمد باي بلعالم** : وهو نظم على بحر الرجز ،جاء في بيتين بعد المائة (202 بيتاً) ،عالج فيه الشيخ منثور الآجرومية ،ألفّه سنة 1407 ه، ويظهر ذلك جلياً في قوله :

سَنَةَ أَلْفٍ مَعَ أَرْبَغٍ مِئِينْ وَسَبْعَةٍ لِهِجْرَةِ الهَادِي الأَمِينِ[60]

وسمّاه بقوله: سَمَّيْتُهُ بِاللُّؤلُؤِ المَنْظُومِ فِي نَظْمِ مَنْثُورِ ابْنِ آجَرُّومِ.[61]

وإذا عُدنا إلى المعاجم اللغوية لقراءة هذا العنوان، فإننا نعثر على أن كلمة اللؤلؤ هي من مادة لألأ، وتلألأ البرق بمعنى لمع ،وضاء واللؤلؤة الدُّرَّة والجمع اللؤلؤ واللآلِئُ [62].

أما المنظوم فهي من نظم اللؤلؤ جمعه في السلك، ونظّمه تنظيماً ومنه نظمُ الشعر ونظّمه ،والنِّظام الخيط الذي يُنظم به اللؤلؤ .[63]

ومن خلال تلك القراء المعجمية نستطيع القول إن محمّد باي بلعالم اختار لعنوانه أن يكون درّة لامعة متناسقة ومجموعة في سلك منظوم لتبسيط منثور ابن آجروم للمتعلمين.

6/ عبد الرحمن حفصي التيديكلتي (على قيد الحياة): هو عبد الرحمن بن إبراهيم بن عيسى حفصي، ولد بحي تقراف بآولف سنة 1932م، ينتمي إلى عائلة محافظة، اتسمت بحب العلم والمعرفة، تربى ونشأ في كنف عائلته،

وتلقى مبادئ العلوم على يد والده وجدته خديجة [64] ومن آثاره النحوية المخطوطة النظم الذي جاء به تيسيراً لشرح مقدمة خالد الأزهري، سماه بفتح الكريم الواجد .

- فتح الكريم الواجد نظم شرح مقدمة الأزهري خالد :وهو نظم لم يُحقق بعد ،لكنه حظي بالدِّراسة في مذكرة ماجستير.

قراءة معجمية في العنوان :

إن الفتح من فتح الباب فانفتح ،وهو نقيض الإغلاق، والفتْحُ النَّصْرُ ،والمفتاح هو للباب ولكل مُسْتغلق، والجمع مفاتيح [65].

أمّا الكريم فهو من صفات اللّه وأسمائه، وهو الكثير الخير والعطاء، والكرمُ ضد اللؤم والبخل، وقد كَرُمَ كرَماً فهو كريمٌ [66].

أمّا مصطلح الواجد فهو كذلك من أسماء اللّه تعالى، وهو الغني الذي لا يفتقر، وقد وجد يجد بمعنى استغنى غنىً لا فقر بعده. [67]

ومن خلال ذلك نستطيع القول إن عنوان الشيخ حفصي هذا ،هو نصر من الله عز وجل في بسط وفتح ما غُلِق من شرح أزهرية خالد ،في نظمٍ سهل الحفظ والمنال للمتعلمين.

كانت هذه بعض المخطوطات النحوية التي عثرنا عليها خلال بحثنا في رفوف الخزائن التواتية، والتي وللأسف ظلّت _ ولفترة من الزمن _ تحت جدار الصمت المُخيّم، رغم نطقها بلسان حالها ،فكيف بالناطق أن يُغمر ؟؛ ولذلك آن الأوان للإسهام في كسر هذا الجدار، وبعث النَّخوة في الباحثين لإحياء هذه الكنوز، وإماطة اللثام عن سجل هذا التاريخ.

ووسط هذه العاهة التي مسَّت مخطوطات المنطقة انطلقت صرخات تنادي بإغاثة وإنقاذ ما أمكن من هذا التراث؛ ففي بداية الثمانينات شُكلت جمعية خاصة للعناية بالبحث والدراسات التاريخية في الولاية، لتبدأ المنطقة تدريجيا في حركة وعي واهتمام بهدا الموروث العلمي، تمثل ذلك في وضع فهارس عامة لهذه الخزائن، وإعادة نسخ وترتيب بعض المخطوطات من جديد، بالإضافة إلى عمد

البعض في شرحها وتحقيقها، وهذا كله بغرض الحفاظ على ما أمكن من هذا الزخم الموروث .

د. عبد الله عماري

الهوامش:

1) 1 - يُنظر الدّرس النحوي عند علماء توات من القرن 11هـ حتى القرن 15هـ (الأعلام والمناهج وبوادر الاجتهاد)، عبد الله عماري، دار الأيام ،الأردن ،ط1، 2016، ص 13 وما بعدها .

2) توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب من حوالي 1850إلى 1902م، أحمد العماري، منشورات كلية الآداب بفاس، المغرب ،ط1، 1988، ص11 .

3) قورارة : نسبة إلى السبخة التي توجد في المنطقة تدعى بتيجورارين و منطقة قورارة تطلق على ضواحي تيميمون. يُنظر، توات والأزواد، محمد الصالح حوتية، دار الكتاب العربي، الجزائر، دط، 2007، ج1، ص28 ،و توات في مشروع التوسع الفرنسي، ص18 .

4) تيديكلت : كلمة بربرية تعني كف اليد أو اليد المفتوحة، و منطقة تيديكلت تقع مابين منطقة رقان وعين صالح. صفحات من تاريخ منطقة آولف، عبد المجيد قدي، أبحاث للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2007، ص18 .

5) هو عقبة بن نافع الفهري، من مواليد السنة الأولى قبل الهجرة، وفي خلافة يزيد بن معاوية ,ولاّه سنة 62هـ على إفريقيا، توفي رحمه الله بمدينة بسكرة الجزائرية . معجم مشاهير المغاربة، أبوعمران الشيخ وآخرون، جامعة الجزائر، 1995م، ص365 - 366 .

6) النبذة في تاريخ توات وأعلامها ،ص20 .

7) تاريخ الجزائر الثقافي، ابو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ج3، ص 142 .

8) نفسه، ص 142.

9) رحيل المخطوطات الموت المصنوع بأيدينا وأيدي غيرنا، عز الدين بن زغيبة، آفاق الثقافة والتراث ،العدد 64، ص 5.

10) هو محمد بن عبد الكريم بن محمد بن المغيلي بن عمر بن مخلوف بن علي بن الحسن، المعروف بابن عبد الكريم المغيلي، ولد سنة 831هـالموافق لـ1427م بمدينة مغيلة التلمسانية وبها نشأ وتعلّم مبادئ العلوم، ليغادر تلمسان لرسم الدعوة إلى اللّه والدفاع عن إقامة الحدود، فأحط بتوات عام 856هـ، فكان من أبرز العلماء الوافدين على المنطقة، ومن آثاره شرح المفتاح في البلاغة، شرح الجمل للخونجي في المنطق، الرد على المعتزلة، منح الوهاب في المنطق، ، راسل السيوطي في المنطق وانتصر لآراء أرسطو، توفي عام 909هـ - 1503م وقُبر بالزاوية التي أخذت اسمه من ذلك الحين إلى حد الآن (زاوية الشيخ بن عبد الكريم المغيلي) ،ينظر، معجم مشاهير المغاربة، ص 505 . وسلسلة النوات في أبرز علماء توات، ج1، ص38 وما بعدها، والنبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص 99 .

11) التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11هـ إلى القرن 14هـ، الصديق حاج أحمد، مديرية الثقافة لولاية أدرار،ط01 ،2003، ص 147.

12) إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتا سع عشر الميلاديين، فرج محمود فرج، أطروحة لنيل دكتوراه الدور الثالث في التاريخ، جامعة الجزائر ،دط ،1977، ص85 .

13) نفسه، ص92 .

14) ينظر ،جوهرة المعاني في التعريف بعلماء الألف الثاني ،ص09، ودرة الأقلام ،نقلاً عن قطف الزهرات من أخبار علماء توات، ص111 .

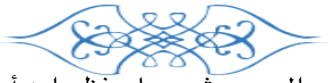

15) مقدم العي المصروم شرح على نظم ابن أبّ لآجروم، محمد بن بادي، طبعة حجرية ،ص01 ..

16) ينظر، النبذة في تاريخ توات وأعلامها ،ص108، وقطف الزهرات من أخبار علماء توات ،ص111، ومحمد بن أبّ المزمري، ص41، وصفحات من تاريخ منطقة أولف، ص81 .

17) الكتاب مطبوع .

18) الكتاب مطبوع في طبعة حجرية ،ومُحقّق في رسالة ماجستير .

19) يُنظر، مادة(نزه) في :المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، ج4، ص 169، وأساس البلاغة، ص 628 -629، والقاموس المحيط، ص 1262، و مختار الصحاح، ص 441 .

20) يُنظر ،مادة(حلم) في: معجم المقاييس في اللغة، ص 278، والقاموس المحيط، ص 1108، ومختار الصحاح، ص 113 .

21) يُنظر، المؤلفات الصوفية في الجزائر، ص 16، و المصنفات اللغوية في الجزائر عبر القرون، ص 128 .

22) الكتاب مطبوع .

23) يُنظر، مادة(كشف) في : المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، ج6، ص 429، ومختار الصحاح، ص 385 .

24) يُنظر، مادة(كشف) في : المحكم والمحيط الأعظم، ج6، ص 429، وأساس البلاغة ،ص 545 ،والقاموس المحيط، ص 864 .

25) ينظر ،مادة (غم) في : المحكم والمحيط الأعظم، ج5، ص 226، و أساس البلاغة ،ص 457، و معجم المقاييس في اللغة، ص 798، و القاموس المحيط، ص 1325 ،و مختار الصحاح، ص 328.

26) صحيح البخاري، شركة الشهاب، الجزائر، دط، 1990، ج2، كتاب الصوم، ص 227 .

27) المؤلفات الصوفية في الجزئر، ص 136

28) دور نحاة القرن العاشر الهجري في حفظ التراث النحوي، أحمد محمد عبد الرضى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2006 م، ص 16 .

29) أليس الصبح بقريب (لتعليم العربي الإسلامي) ،محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، ط2، 2007م، ص11 .

30) مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد، أدرار.

31) مخطوط بخزانة الشيخ باي، أولف، أدرار .

32) مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد، أدرار .وهو محقق من طرف د/ مختار بوعناني في طبعة خاصة ومحدودة. المصنفات اللغوية في الجزائر عبر القرون ،ص132.

33) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عمران الفنزاري السلاوي الشهير بابن المجراد، من أهل سلا(جوار الرباط)، من مؤلفاته : لامية في إعراب الجمل ،و ايضاح الأسرار والبدائع، وشرح الدرر ،توفي بسلا بأرض المغرب سنة 778هـ، ويعرفه أهل المغرب الآن بسيد الإمام السلاوي، ينظر ترجمته في : الأعلام، ج7،ص 44، ومحمد بن أُب المزمري ،ص 61 .

34) نحو الجمل، تح : مختار بوعناني، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، دط، 1995، ص138 .

35) ينظر مادة (نال) في : أساس البلاغة، ص 662، ، والقاموس المحيط، ص 1077، ومختار الصحاح، ص 461

36) القاموس المحيط، ص 343، مادة (مَرَدَ).
37) معجم المقاييس في اللغة، مادة(مَرَدَ) .
38) مختار الصحاح، مادة(مَرَدَ)، ص 417.
39) لامية في النحو، الآثاري، تح : هلال ناجي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1999م، ص 11 .
40) دليل مؤرخ المغرب الأقصى، عبد السلام المسري، دار الفكر، بيروت ، ط1، 1997م، ص 205 .
41) شرح روضة النسرين في مسائل التمرين، ص 83 .
42) يُنظر، مادة (روض) في :القاموس المحيط، ص 666، مختار الصحاح، ص 186، إصلاح المنطق، ص 264 – 367 .
43) أساس البلاغة، مادة(روض) ،ص 285 .
44) القاموس المحيط ،مادة (نسر) ،ص 506 .
45) شرح روضة النسرين في مسائل التمرين، ص 117 .
46) المؤلفات الصوفية في الجزائر، ص 94 .
47) جوهرة المعاني في التعريف بعلماء الألف الثاني، محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي، مخطوط بحزانة المطارفة، أدرار، ص 08.
48) تمنطيط اسم لمدينة في إقليم توات، وهي قريبة من عاصمة الولاية أدرار، وهي كلمة بربرية تعني بالعربية الجبهة والعينان . الرحلة العلية إلى منطقة توات ،ج1، ص20 .
49) القول البسيط في أخبار تمنطيط، محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم، تح: فرج محمود فرج، تابع لأطروحة الدكتوراه، الجزائر 1977م، ص13 -14 .
50) تاريخ بن خلدون، ج 7 ،ص 76 .

51) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عمران الفنزاري السلاوي الشهير بابن المجراد، من أهل سلا(جوار الرباط)، من مؤلفاته : لامية في إعراب الجمل ،و ايضاح الأسرار والبدائع، وشرح الدرر ،توفي بسلا بأرض المغرب سنة 778ه، ويعرفه أهل المغرب الآن بسيد الإمام السلاوي، ينظر ترجمته في : الأعلام، ج7،ص 44.

52) يُنظر، لسان العرب، باب الفاء ،مج 05 ،ص 3370 ،ومختار الصحاح، باب الفاء ،ص 336 .

53) يُنظر، لسان العرب، باب الغين، مج 05، ص3302 ،ومختار الصحاح ،باب الغين، ص 328 .

54) ينظر، الشيخ محمد بن بادي الكنتي حياته وآثاره، الصديق حاج أحمد، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، دط، 2007، ص 35 وما بعدها .

55) وفي هذا الشأن يقول الخليل الموريطاني المُلقب بالنّحوي :"وفي القرن التاسع جاء – من توات – الولي الصالح سيد أحمد البكاي – الكنتي - (ت 1591م -920هـ) إلى (ولاتة) فاتخذها داراً له " (يُنظر : بلاد شنقيط – المنارة والرباط - ،الخليل النّحوي ،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ،تونس ،دط، 1987م، ص69)،ويُدعِّم هذا الكلام المستشرق توماس أرنولد بقوله : "... وقد دخلت القادرية في إفريقيا الغربية في القرن الخامس عشر ميلاد على أيدي مُهاجرين من توات ... فاتخذوا من (ولاتة) أول مركز لطريقهم ..." (يُنطر: الدعوة إلى الإسلام ،توماس أرنولد ،ترجمة :حسن إبراهيم حسن ،القاهرة ،1975م ،ص 365 .) ،والمقصود بهؤلاء المهاجرين في كلام أرنولد هم قبيلة كنتة ؛وهي قبيلة مشهورة إلى الآن بمنطقة

توات، وأول من استوطن في توات من الأجداد الكنتيين كان عثمان الكنتي (يُنظر : المغرب الإسلامي ،لقبال موسى، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1981م ،ص35 .) .

56) يُنظر، لسان العرب ،باب القاف، مج 05 ،ص 3554، مختار الصحاح، باب القاف، ص 355 .
57) يُنظر، لسان العرب، باب العين، مج 04 ،ص 3201 ،ومختار الصحاح ،باب العين، ص 318 .
58) ينظر، لسان العرب، باب الصاد، مج 04، ص 2438، ومختار الصحاح، باب الصاد، ص 250 .
59) صفحات من تاريخ منطقة آولف، ص 112.
60) اللؤلؤ المنظوم عل منثور ابن آجروم، ص 11 .
61) نفسه، ص 01 .
62) ينظر، لسان العرب ،باب اللام ،ج 05، ص 3975 ،ومختار الصحاح، باب اللام، ص 396 .
63) مختار الصحاح، باب النون ،ص 448 .
64) صفحات من منطقة آولف، ص 136.
65) ينظر، لسان العرب، مج05،ص 3338، ومختار الصحاح، ص 333 .
66) يُنظر، لسان العرب، باب الكاف، مج05 ،ص 3861 ،ومختار الصحاح، باب الكاف، ص 383 .
67) يُنظر، لسان العرب، باب الواو ،مج06، ص4770، ومختار الصحاح، باب الواو، ص 477 .